BIR ZAMZAM.

بئر زمزم ونهر ماء الحيوة

هاجر مع اسمعيل (راجع تكوين ٢١: ١٤—١٨)

تطلب من المطبعة بشارع المناخ نمرة ٣٧ بمصر

electronic file created by cafis.org

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فبئر زمزم من اشهر آبار العالم وهي بقرب مكة المكرمة ولو انها لم تذكر في القرآن مطلقاً الا انها اشهر من نار على علم في العالم الاسلامي وكذلك لها مقام كبير في مناسك الحج ولا يرجع حاج من اخواننا المسلمين الى بلاده الا ومعه قارورة ملأى من ماء هذا البئر تبركاً به ولو كانت في بعض الاحيان خطراً على الصحة العمومية لنقل الوباء وخلافه. وقيل سميت زمزم لان هاجر زمت ماءها اي جمعته عند انفجارها لئلا يسيل. وقيل لان الفرس كانوا يحجون الى مكة ويزمزمون عليها اي يصلون بلغتهم وعلى ذلك قال بعض الشعراء:

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الاقدم

وقيل في القاموس للفيروزابادي ان لها اربعين اسماً. ويعتقد المسلمون ان بركتها عامة من كل وجه وهاك بعض فضائلها:

electronic file created by cafis.org

قال عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري قال انس بن مالك كان ابو ذر رضى الله عنه يحدث ان رسول الله صلعم قال فرج سقفي وانا بمكة ونزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست ذهب ممتلئ حكمة وايماناً فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل (البخاري باب الحج جزء ٢ وجه ١٥٦)

وجاء في الغزالي باب شروط الحج ان الحاج يجب ان يكثر شرب ماء زمزم ويرتوي منه حتى يتضلع. وجاء في قصص الانبياء «وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفذ الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت اي الجبال ادنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتاً او ترى انسياً فلم تسمع شيئاً ولم تر احداً ثم انها سمعت اصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتاً نحو المروة فسعت وما تريد السعي كالانسان المجهود فهي اول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتاً كالانسان الذي يكذب سمعه

حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ايل تعني يا الله قد أسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت ومن معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من انت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام. فلما نبع الماء اخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقي فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام انهاري وجعلت ام اسمعيل تحبسها حبساً قال رسول الله صلعم لولا انها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً. وقال لها جبريل لا تخافي الظماء على هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها اما ان ابا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتاً هذا موضعه» (قصص الانبياء الباب الثالث)

اما المستشرقون فيقولون ان كل الحكايات المقولة عن هذه البئر خرافية ويثبتون ذلك من التاريخ ففي الكتاب المقدس يذكر ان البئر التي توجهت اليها هاجر هي بئر سبع. وبئر سبع

هذه هي حد من حدود فلسطين وتبعد عن مكة باكثر من ١١٠٠ كيلومتر ومن ذلك نعرف ان الحكاية موضوعة ولا اصل لها في تاريخ الامة اليهودية لانهم لم يصلوا الى مكة الا بعد ايام داود وسليمان. اما قصة هاجر الحقيقية فنجدها في الكتاب المقدس في سفر التكوين كما يأتي :—

«فبكر ابرهيم صباحاً واخذ خبزاً وقربة ماء واعطاهما لهاجر واضعاً اياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس. لانها قالت لا انظر موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لاني ساجعله امة عظيمة. وفتح الله عينيها فابصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان يمو رامي قوس. وسكن في برية فاران

واخذت له امه زوجة من ارض مصر» (تكوين ٢١: ١٤—٢١)

فترى من هذا التاريخ محبة الله العظمى ليس لابراهيم واسحق فقط بل بنوع اخص لاسمعيل اذ نجاه الله من الموت عطشاً ووعده بمواعيد صادقة وصالحة لانه تعالى ارحم الراحمين. وعطش اسمعيل هذا لم يكن شيئاً نسبة الى عطش امه لنجاته من الموت وعطشهما معاً كلا شيء بجانب عطش الله لخلاص اسمعيل والخطاة اجمعين وهذا نفس معنى صراخ المسيح وهو على خشبة الصليب وقوله انا عطشان فعطشه كان لخلاص بني البشر

ولذلك يشير الكتاب المقدس في مواضع متعددة الى الحياة الابدية والخلاص بالمسيح برمز الماء وامثال ذلك قول النبي ارميا عن شعب اسرائيل اذ تركوا الماء الحي اي الايمان بالله وفتشوا عبثاً عن الماء في بركة حياة الدنيا

«لان شعبي عمل شرين. تركوني انا ينبوع المياه الحية لينقروا لانفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماء» (ارميا ٢: ١٣)

اما عن المؤمنين فالكتاب يقول:

electronic file created by cafis.org

«فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص» (اشعياء ١٢: ٣)

«في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود ولسكان اورشليم للخطية وللنجاسة (اي لنزعهما)» (زكريا ١٣: ١)

وكل هـذه النبوات تمت في يسوع المسيح بشهادته عن نفسه كما ورد في الانجيل:

«وكانت هناك بير يعقوب. فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البير. وكان نحو الساعة السادسة. فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء. فقال لها يسوع اعطيني لاشرب. لان تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وانت يهودي وانا امرأة سامرية. لان اليهود لا يعاملون السامريين. اجاب يسوع وقال لها لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك اعطيني لاشرب لطلبت انت منه فاعطاك ماء حياً»

(يوحنا ٤: ٦ — ١١)

وتفسير هذا القول المجازي يوجد في (يوحنا ٧: ٣٧ — ٣٩)

«وفي اليوم الاخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى

electronic file created by cafis.org

قائلا ان عطش احد فليقبل الي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي»

وقد اخبرنا يوحنا اللاهوتي باكثر ايضاح ان يسوع المسيح هو الحياة ومصدر الخلاص بصفته ينبوع ماء الحياة اذ قال

«ثم قال لي قد تم. انا هو الالف والياء البداية والنهاية انا اعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً» (رؤيا ٢١:٦)

«والروح والعروس يقولان تعال ومن يسمع فليقل تعال ومن يعطش فليأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً»

(رؤيا ٢٢:١٧)

واخيراً نقول لكل اخ مسلم وخصوصاً للذين يرجعون من مكة وبئر زمزم اقبلوا دعوة المسيح ووعده «طوبى للعطاش الى البر لانهم سيشبعون» وكل من يريد ان يروي نفسه المائتة من العطش فليقترب الى المسيح

«ايها العطاش جميعاً هلموا الى المياه والذي ليس له فضة تعالوا واشتروا بلا فضة وبلا ثمن» (اشعياء ٥٥:١)

electronic file created by cafis.org

«لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية»

(يوحنا ٣:١٦)

مثل اشتياق ايل لجـــدول الميـــاه
نفسي اليك هكذا تشتـــاق يا الله

قد عطشت نفسي الى الهي الاكبر
متى اجئ ولدى ربي العلي اظهر

electronic file created by cafis.org